

الثوابت التاريخية في أحقية المسلمين ببيت المقدس و الفلستينيين بأرض فلسطين

■ بقلم الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد

لقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لهداية البشر، وإرشادهم الى ما ينفعهم في معاشهم وممادهم، وليحكم بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه انطلاقاً من الوزن بالقسط. هذا ولقد أقام اليهود نزاعاً حول بيت المقدس وأرض فلسطين، يدّعون من خلاله أنهم الأحق بها ويذكرون ثوابت عقديّة من نصوص يقدسونها، وكذلك ثوابت تاريخية يتوهمونها، ومن أبرز عقائدهم ما يلي:

لنسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً

سفر حزقيال ٢٧/٢٥ .

إلى غير هذا مما يدّعون به زعمهم

المذكور مما جعلني أكتب بحثي هذا مدعماً

بثوابت تاريخية واقعية لا يستطيعون

في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام

عهداً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من

نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات

سفر التكوين ١٥/١٨، وكذلك: "ها أنا ذا

أنميك وأكثرك وأجعلك جماعة وأعطي

ثروتها المادية فقط، ولكن تعود إلى موقعها الجغرافي الممتاز، فهي تربط بين شمال العالم وجنوبه، وبين شرقه وغربه وهي تربط بين قارات العالم القديم الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوروبا، كما أن أرض فلسطين تعتبر قلب العالم العربي، فهي تربط بين البلاد العربية الآسيوية الواقعة شرقاً، والبلاد العربية الأفريقية الواقعة غرباً، كما أن فلسطين تشترك معها في الحدود أربع دول عربية، هي: لبنان وسورية والأردن ومصر، وهذا لا يتوفر لأي بلد عربي آخر، مما جعل لفلسطين أهمية خاصة في التاريخ العربي والسياسة العربية.

♦ التاريخ العمراني:

أما عن التاريخ العمراني لهذه المنطقة، فقد كان "الفينيقيون" من أوائل من استوطنوا هذه المنطقة، وذلك في الألف الثالث قبل الميلاد، وقد هاجر الفينيقيون من شبه الجزيرة العربية بسبب القحط والجذب، واستقروا في المنطقة المعروفة حالياً باسم لبنان، وقد اشتهر الفينيقيون بالملاحة والتجارة البحرية.

ثم قدم بعد ذلك "الكنعانيون" الذين هاجروا من الجزيرة العربية حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م، وأقاموا غرب نهر الأردن في المنطقة الواقعة بين ذلك النهر وساحل

إنكارها تجعل -إن شاء الله- زعمهم لا واقع له وعليه يفند هذا الزعم، أما نصوصهم المقدسة المذكورة فقد تواترت دراسات الباحثين من يهود ومسلمين على ما لحقها من وضع وتحريف، والنصوص المقدسة الثابتة المتواترة التي ينطق بها القرآن الكريم يعلنها صراحة حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف: ١٢٨ .

لا بد لنا بداية أن نبين أننا عندما نقول: أحقية المسلمين بأرض المقدس فإنما هي من خلال الفلسطينيين أحقية للمسلمين جميعاً كما هو الحال في مسجد رسول الله ﷺ والمسجد الحرام والمقدسات الإسلامية أينما وجدت، وكذلك فإن أرض فلسطين أرض للمسلمين جميعاً كذلك حيث إن الحدود الجغرافية إنما هي وسيلة للتعرف والهويات أما الأرض الإسلامية فإنها لا تعرف هذه الحدود، فنظرة الإسلام أن الكل داخل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

بعد هذا نعرض بعضاً من الجوانب الجغرافي لأرض فلسطين.. أرض المسجد الأقصى المبارك فنقول:

♦ أهمية الموقع الجغرافي:

إن أرض فلسطين لا تعود أهميتها إلى

وجنوب البحر الميت وكونت ممالك "عمون وموآب وأدوم" وكانت "موآب" أكثرها حضارة فعملت بالزراعة وأقامت المدن العظيمة، وأما "أدوم" فكانت أقلها مدنية وحضارة فعملت بالرعي، وكانت تمتد حتى خليج العقبة، وأما "عمون" فكانت وسطاً بين البداوة والحضارة، فبعضها كان يعمل بالرعي، والبعض الآخر كان يعمل بالزراعة.

وكانت "مدين" تقع شمال الجزيرة العربية، وكانت لها صلات بكل من مصر وأرض كنعان والجزيرة العربية، وقد لجأ إليها موسى عليه السلام خوفاً من بطش فرعون به، وكانت "مدين" تعد آنذاك الباب الذي يصل بين الصحراء العربية وأرض فلسطين وما جاورها.

وكانت مصر وبابل آنذاك من الدول العظمى ومن أكثرها حضارة ومدنية، وكانت المنافسة بين هاتين الدولتين على قدم وساق، والحرب بينهما لا تكاد تنقطع، وكانت أرض كنعان ميدان هذه المعارك، وقد تأثرت هذه المنطقة بهذه الحروب فالذي يكون له النصر، يسيطر على أرض كنعان وتكون له السيادة عليها.

وقد تغلب الرعاة العماليق (الهكسوس) على مصر فترة من الزمن امتدت من عام ٢٠٩٨ ق.م، إلى عام ١٥٨٧ ق.م، وقد

البحر الأبيض المتوسط، وأطلق على هذه الأرض اسم "أرض كنعان" نسبة إليهم.

ثم هاجرت بعد ذلك حوالي عام ١١٠٠ ق.م، إلى هذه الأرض "أرض كنعان" إحدى القبائل من جزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط، واسم هذه القبيلة "فلسطين"، وأقامت هذه القبيلة مع الكنعانيين في أرض كنعان بين يافا وغزة، وتم التصاهر والتزاوج بين القبيلتين وقد نشأ عن ذلك عنصر جديد يغلب عليه الدم العربي الكنعاني، وغلب اسم "فلسطين" على هذه المنطقة فاصبحت تسمى: "أرض فلسطين".

أما "الآراميون" فقد هاجروا من أرض العراق بعد أن غصت بالمهاجرين من الجزيرة العربية، وقد كانت أرض العراق وفيرة الخيرات والثمار مما دفع بكثير من سكان الجزيرة العربية إلى الهجرة إليها، تحت ضغط الجذب والقحط والجوع، فامتلأت أرض العراق بالمهاجرين، مما دفع الآراميين إلى الهجرة منها وقد استقر الآراميون في أرض سورية، واتخذوا من "دمشق" عاصمة لهم، وعملوا بالزراعة والتجارة، ويعرف الآراميون في الكتاب المقدس باسم "السوريين".

وهناك قبائل أخرى هاجرت هي أيضاً من أرض العراق واستقرت شرق نهر الأردن

العبرانيين لذلك، وبعد أن تحضر العبرانيون وأقاموا المدن والقرى وهجروا حياة البداوة والتقل أخذوا يأنفون من هذه التسمية التي تذكرهم بماضيهم البدوي، وأطلقوا على أنفسهم اسم "بني إسرائيل".

♦ هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مصر:

وبعد فترة من الوقت، وبسبب الجذب والقحط، هاجر إبراهيم عليه السلام ومعه زوجته سارة عليها السلام إلى مصر، وكانت تحت حكم "الهكسوس" ولقد أهدى فرعون مصر إلى سارة السيدة هاجر وهي أميرة مصرية فتزوجها سيدنا إبراهيم عليه السلام وأنجب منها ولده الأول إسماعيل عليه السلام ثم أمره الله تعالى، أن يضعه وأمه هاجر بجوار بيته المحرم، فنشأ بين قبيلة "جرهم" وصاهرهم كما هو معلوم.

وبعد أربعة عشر عاماً من ولادة إسماعيل عليه السلام، أراد الله عز وجل أن تلد السيدة سارة المرأة العقيم من زوجها إبراهيم عليه السلام الطاعن في السن، فأنجبت إسحاق عليه السلام الابن الثاني لإبراهيم عليه السلام.

♦ العبرية:

إذن فكلما "عبراني" تطلق في الأصل على إبراهيم عليه السلام ونسله وهم العرب المستعربة أولاد إسماعيل بن إبراهيم ومع

انحدروا من أصل عربي، وزحفوا على مصر تحت ضغط القحط والجذب اللذين أصابا الجزيرة العربية، منتهزين فرصة ضعف الأسرة الثالثة عشرة المصرية، وقد كونوا أربع أسر من الأسر التي حكمت مصر، وقد استمر النضال بين "الهكسوس" وبين أمراء طيبة (الأقصر) المصريين الذين كانوا يحاولون استعادة سلطانهم على البلاد، حتى تمكن "أحمس" من طرد الهكسوس وتأسيس الأسرة الثامنة عشرة المصرية، وقد أكمل "تحتمس الثاني" ما بدأه أحمس، واستولى على فلسطين وسورية، وضعف نفوذ "بابل" في تلك البلاد.

♦ العبرانيون:

تطلق هذه التسمية على سيدنا إبراهيم عليه السلام وبنيه، وقد اختلف في سبب هذه التسمية -فقيل: إن أحد أجداد إبراهيم عليه السلام كان يطلق عليه اسم "عبر" فنسب العبرانيون إليه وقيل: إن السبب في هذه التسمية يعود إلى عبور إبراهيم عليه السلام لنهر الفرات عند هجرته من العراق - والأقرب إلى الصحة أن سبب هذه التسمية، يعود إلى أن العبرانيين كانوا من البدو الرحل الذين لا يستقرون في مكان، بل كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر "ويعبرون" المكان ولا يستقرون فيه، فأطلق عليهم اسم

التسمية بالعبراني قاصرة على بني إسرائيل فقط دون بني اسماعيل من العرب.

♦ هجرة نبي الله ابراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان:

لقد هاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن معه أولاً إلى أرض سورية موطن الآراميين، ثم اتجهوا جنوباً حتى استقروا بأرض كنعان، ورحلة كهذه لا بد أن تكون قد استغرقت عدة أعوام، إذ لم يكن لهم هدف معين سوى هروبهم من عبدة الأوثان، فكانوا يتوجهون حيث المرعى والماء، وينتقلون من مكان إلى مكان طلباً لذلك، ويلتقون في هجرتهم بقبائل متعددة لكل منها لغتها ولهجاتها، فكانوا يأخذون كلمة من هنالك وكلمة من هناك، حتى أصبحت لهم لغة جديدة مستقلة، اقتبسوها من اختلاطهم بالأمم المتعددة التي مروا بها أثناء رحلتهم.

وهذه اللغة هي عبارة عن لهجة آرامية قريبة الشبه باللغة العربية لها قواعدها الخاصة بها، وقد سميت هذه اللهجة باللغة العبرية، وأقدم النصوص المعروفة لهذه اللغة يعود إلى عام (١٢٠٠ ق. م) ثم حلت اللغة الآرامية محل اللغة العبرية وصارت هي السائدة واقتصرت العبرية على لغة الكتابات الدينية، وما لبث أن صارت

ذلك فنحن نلاحظ أن كلمة "عبراني" إذا أطلقت فإنما يراد بها بنو إسرائيل فقط دون العرب من بني اسماعيل، مع أنهم في الأصل (عبرانيون) أيضاً لأنهم من نسل ابراهيم عليه السلام أيضاً فما سبب ذلك؟

نرى أن سبب قصر التسمية "العبرانيين" على بني إسرائيل فقط دون بني اسماعيل يتمثل فيما يلي:

١- أن بني إسرائيل هم الذين أقاموا فترة من الزمن في موطن العبرانيين الذي هاجر إليه ابراهيم عليه السلام وهو أرض كنعان أما بنو اسماعيل، فقد انقطعت الصلة بينهم وبين بني عموماتهم حيث أقاموا في مكان بعيد في قلب الجزيرة العربية وهو مكة وما جاورها فأهملت نسبتهم إلى العبرانيين.

٢- أن بني إسرائيل حافظوا على دين إبراهيم عليه السلام دين التوحيد لفترة من الزمن.

أما بنو اسماعيل فلم يلبثوا أن أهملوا هذا الدين وعبدوا الأوثان إلا قليلاً منهم.

٣- أن بني إسرائيل هم الذين احتفظوا بلغة العبرانيين، أما بنو اسماعيل فقد نشأوا بين قبيلة جرهم العربية وأخذوا لغتها الفصحى.

لهذه الأسباب مجتمعة أصبحت

بدعاء ربي شقياً» مريم: ٤٨، فكان اختلاف العقيدة سبباً في اعتزال العبرانيين لمن حولهم من الشعوب.

٢. اختلاف العقلية، فقد كان العبرانيون من البدو الرحل ولم تكن لهم حضارة ولا مدنية ولا ثقافة ولا علوم ولا معارف شأن البدو في كل زمان، بينما كان جيرانهم قوماً متحضرين ذوي علوم ومعارف، فعقلية هؤلاء تختلف عن عقلية أولئك ومن ثم كانت الهوة عميقة بين الطائفتين ولذا عاش العبرانيون في عزلة عن جيرانهم.

ثم ما لبث أن أصبحت العزلة طابعاً للعبرانيين على اختلاف العصور حتى بعد زوال الأسباب التي كانت تدعوهم إلى العزلة، فقد هجر العبرانيون دين التوحيد وأصبحوا كجيرانهم من حيث العقيدة ومع ذلك بقوا في عزلتهم وقد تحضر العبرانيون وهجروا حياة البداوة وأصبحت لهم معارف وثقافات وعلوم، فكان جديراً بهم بعد زوال الفوارق بينهم وبين من حولهم أن يضموا نهاية لمزلتهم، ولكنهم استمروا فيها وأصبحت هذه العزلة هي الطابع الذي يميزهم عن غيرهم من الناس على مدى التاريخ.

فقد خالط العبرانيون أجناساً متعددة، وعاشوا بين شعوب كثيرة مختلفة العادات والطبائع والعبرانيون هم هم أينما حلوا

الآرامية كذلك لغة الكتابات الدينية كذلك، ثم أصبحت السيادة للغة اليونانية حيث كتبت بها أسفار العهد الجديد ما عدا «إنجيل متى» حيث يرجح الباحثون أنه كتب أولاً بالآرامية، ثم ترجم إلى اللغة اليونانية، ثم عمل اليهود بعد هذا إلى وسائل إحياء اللغة العبرية كلفة رسمية لهم.

♦ عزلة العبرانيين:

وقد لوحظ على «العبرانيين» بعد هجرتهم إلى أرض كنعان أن لهم طابعاً خاصاً بهم، هو العزلة فقد كانت القبائل المهاجرة يختلط بعضها ببعض وتتشأ بين أفرادها علاقات المصاهرة والمعاملة، أما العبرانيون فكانوا منطوين على أنفسهم يعزلون القبائل الأخرى ولا يختلطون بهم، ويقيمون من حولهم سياجاً لا يسمحون لغيرهم باختراقه فما سبب هذه العزلة؟

نستطيع أن نقول: إن سبب هذه العزلة في بدايتها يعود إلى أمرين:

١. اختلاف العقيدة، فقد كان العبرانيون يؤمنون بالإله الواحد جل وعلا، بينما من حولهم من الشعوب يعبدون الأصنام أو الكواكب، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة حيث يقول حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى أن لا أكون

تصريف شئون العالم حتى يأمنوا غيرهم وهذا يفسر كثيرا من تصرفات بني إسرائيل على مدى التاريخ، وخاصة موقفهم من قضية فلسطين، وهو موقف يقوم أساساً على خيال مريض، كما يفسر محاولاتهم المستمرة للقضاء على القوميات والأديان، حتى يحطموا جميع القوى ولا تبقى قوة سواهم، كما يفسر نشرهم للدعوات والمذاهب الاباحية الالحادية، للقضاء على معنويات الشعوب، وليس سرا أن الماركسية والماسونية وراءهما أصابع بني إسرائيل.

٢. أن العبرانيين لا يشمرون بأي ولاء للوطن الذي يعيشون فيه وإنما ولاؤهم للمجتمع اليهودي والشعب اليهودي، وهذه ظاهرة في سلوك العبرانيين أينما حلوا تجاه الشعوب التي تؤويهم فهم دائما لا يحسون بأنهم ينتمون إلى هذه الشعوب، فإذا حلت بهؤلاء نازلة، أو أصابتهم ضائقة أو هاجمهم عدو لا يساهم العبرانيون في تخفيف آلامهم، وتضميد جراحهم و كان الأمر لا يعينهم والموقف يختلف فيما لو نزل البلاء بأي عبراني في أي مكان عندئذ يسارع الجميع لتجديته ومواساته في مصيبتة.

♦ بنو إسرائيل في مصر:

في القرن السابع عشر قبل الميلاد كانت

يتجمعون ويتكثرون وينطوون على أنفسهم ويصنعون لأنفسهم مجتمعا خاصا مغلقا عليهم، أو بعبارة أخرى يقيمون لأنفسهم دولة داخل الدولة.

هكذا كانوا في مصر يوم قدموا إليها في زمن يوسف عليه السلام، وهكذا في جميع البلاد التي هاجروا إليها في العراق والمغرب واليمن وفي أوروبا وأمريكا.. هم هؤلاء القوم الانماليون وهم يرون في هذه العزلة مكن قوتهم وصلابتهم.

وقد ترتب على هذه العزلة عدة نتائج خطيرة أهمها:

١. أن العبرانيين (بني إسرائيل اليهود) قد ترسبت في أعماقهم عقدة الشمور بالاضطهاد، وهو مرض نفسي يصيب المنطوين على أنفسهم عندما يبالفون في الانطواء، فعزلة العبرانيين الطويلة المدى أصابتهم بهذه العقدة فهم ينظرون إلى من حولهم على أنهم اعداء لهم يتحنون الفرص للإنتقاض عليهم.

ولذا فهم يحذرون من حولهم ويتشككون فيهم ولا يطمثون إليهم، فهم يعيشون دائما في خوف ورعب محرومين من الشمور بالأمن والاطمئنان وهذا يدفعهم إلى معاداة جميع الناس وتدمير المؤتمرات والتخطيط من أجل أن يكونوا دائما المتفوقين، وبيدهم

اسرائيل أصدقاء الهكسوس، فقد كان كل
همه آنذاك أن يتخلص من الهكسوس
ويحطم قوتهم.

فلما استقر الحكم الوطني في مصر،
وقامت الأسرة التاسعة عشرة، بدأ
المصريون يظهرّون حذرهم من بني
اسرائيل وعدائهم، وذلك لعدة أسباب:

١- محاباة "الهكسوس" أعداء المصريين
لبني اسرائيل وتقريبهم لهم على حساب
الشعب المصري، مما ولد الحقد في نفوس
المصريين على هؤلاء الدخلاء غير أن هذا
الحقد لم يظهر أثره ابان حكم الهكسوس،
فلما جلا هؤلاء عن البلاد واستقر الوضع
بمصر لمصلحة الحكم الوطني أخذ هذا
الحقد يعلن عن نفسه.

٢- بعد جلاء "الهكسوس" تغيّر الوضع
بالنسبة لبني اسرائيل فلم يمدودوا هؤلاء
المنعمين المدللين، بل حرّموا من امتيازاتهم،
وطلب منهم الحكام المصريون أن يشاركوا
المصريين أعمالهم من فلاحه الأرض
وتشييد المباني، وهي أعمال شاقة لم
يألفوها، فبدأوا يتمردون ويدبرون
المؤامرات ويشعلون الثورات، مما دفع
الشعب والحكام إلى معاداةهم
واضطهادهم.

٣- حياة العزلة التي ألفوها، وقد

مصر تحكم حكماً أجنبياً إذ كانت مقاليد
الأمر فيها في يد الرعاة العماليق
(الهكسوس) الذين حكموا مصر من عام
(١٥٨٧ ق. م) إلى عام (٢٠٩٨ ق. م) وقد
كونوا أربع أسرهى: الأسرة الرابعة عشرة،
والخامسة عشرة والسادسة عشرة،
والسابعة عشرة. وفي هذه الفترة عاش بنو
اسرائيل بمصر في حماية من الهكسوس
واستمر الوضع على هذه الصورة محاباة
من الحاكم الأجنبي لبني اسرائيل الذين
يقيمون بمصر مدللين مترفين يتمتعون
بخيراتها وثمراتها، بينما يحرم منها
أصحاب البلاد ويقومون بأعمال لا تحتاج
إلى مجهود وعناء كالرعي وصياغة الذهب
والفضة بينما يشقى المصريون ويسخرون
في أشق الأعمال وأضناها.

وقد تولد عن هذا الوضع شيء من
الحقد والمرارة في نفوس المصريين، وأخذوا
يربطون بين هؤلاء الدخلاء والحاكم
الأجنبي الدخيل ويحملون للجميع في
نفوسهم كرهاً وبغضاً، غير أن "الهكسوس"
أصدقاء بني اسرائيل لم يلبثوا أن طردوا
من مصر بعد أن تمكن "أحمس" أحد أمراء
طيبة المصريين من هزيمتهم وإجلالهم عن
البلاد وإقامة حكم وطني مصري خالص،
وأسس الأسرة الثامنة عشرة غير أن
التاريخ لا يذكر أن أحمس قد آذى بني

فتضطّر النساء الاسرائيليات إلى الزواج من الرجال المصريين وبهذا يقضي قضاء مبرماً على عزلة بني إسرائيل، ويندمجون في الشعب المصري فيزول خطرهم وينتهي شرهم.

ولما أرسل الله سيدنا موسى ﷺ إلى بني اسرائيل، أمره بإخراج بني اسرائيل من مصر وأغرق الله فرعون وجنوده.

◆ بنو اسرائيل في سيناء:

نجى الله موسى ﷺ وقومه من فرعون وجنوده، وأصبحوا في سيناء حيث بدأوا حياة جديدة تختلف تماماً عن حياتهم في مصر، فقد كانوا في مصر يحصلون على جميع ما يحتاجون إليه من طعام وقوت، حيث الخير الكثير والرزق الوفير، أما في سيناء فالأمر يختلف فهي صحراء، لا نبات فيها ولا طعام ولا ماء، تحرقهم الشمس نهاراً، ويرتعدون من البرد ليلاً، حيث لا مأوى ولا ملجأ لهم، حياة قاسية وعيشة مضنية، جعلتهم يتذكرون حياتهم السهلة في مصر، فبدأوا يتمرّدون على موسى ﷺ ويؤذونه باعتبار أنه هو سبب خروجهم من النعيم والحياة الطيبة في مصر، وصبر موسى ﷺ على أذاهم، ثم تركهم واستخلف عليهم أخاه هارون، واتجه إلى جبل الطور، حيث أمره ربه بالصوم والاعتكاف مدة ثلاثين يوماً يتلقى بعدها

أصبحت هذه العزلة تثير مخاوف المصريين وقلقهم، بعد أن كانت في بداية الأمر لا تشغل بالهم إذ كان بنو إسرائيل حين قدموا إلى مصر أعداداً ضئيلة جداً لا تتجاوز سبعين نفساً وعزلة عدد قليل كهؤلاء، لا تثير قلقاً ولا مخاوف ولكن لم يلبثوا أن تزايد عددهم زيادة هائلة، فقد تجاوز عددهم المليونين من الأنفس حسب ما يستتج من بعض الروايات، وعزلة عدد ضخم كهذا العدد، وتكوينه دولة داخل دولة، يثيران بلا شك كثيراً من الريبة والحذر خاصة وأن بني اسرائيل كانوا على اتصال مستمر بأعداء البلاد في الخارج.

وبهذا العدد الضخم الذي يمكنهم من الانقضاض على الدولة وانتزاع السلطة، أيقن المصريون أن عزلة بني اسرائيل وزيادة عددهم فيهما الخطر كل الخطر على البلاد، ولذلك بدأ المسؤولون يضعون الخطط للتخلص من هذا الخطر، وكان يحكم مصر آنذاك "رمسيس الثاني" أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة، فاستشار أعوانه في الوسيلة التي تمكنه من القضاء على قوة بني اسرائيل، فأشار عليه أعوانه بأن يذبح كل مولود ذكر يولد لبني اسرائيل وأن يستبقي الإناث، فإذا استمر الأمر على ذلك فإنه لم يلبث أن يمضي وقت قصير حتى لا يصبح في بني اسرائيل رجل واحد،

وطلب منهم أن يدخلوها وكان ذلك يعني نشوب حرب بينهم وبين الكنعانيين سكان فلسطين، فرفض بنو إسرائيل دخول فلسطين خوفاً من الحرب والقتال، وفي الواقع كان بنو إسرائيل، غير مهينين نفسياً لخوض معركة حربية، فقد عاشوا في مصر فترة طويلة أذلاء مستعبدين وقد ألفوا حياة الذل والضعف والاستكانة والهوان، والشعوب التي ألقت ذلك لا تكون أهلاً لتحمل تبعات القتال ولا الخوض في الحروب، وهي لو فعلت ذلك قلن تلقى سوى الهزيمة والفشل، ومن ثم فقد رفض بنو إسرائيل أن يحملوا السلاح ويدخلوا معركة من أجل فلسطين.

لقد عاقب الله تعالى بني إسرائيل على امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة بأن حرم عليهم هذه الأرض، كما قضى عليهم بأن يتيهوا في أرض سيناء أربعين سنة فقلوله تعالى: ﴿أربعين سنة﴾ ظرف زمان لقوله: ﴿يتيهون﴾ أي فترة التيه هي المحددة بأربعين عاماً، أما التحريم فإنه على التأييد وليس مؤقتاً بزمان.

وقد يقول قائل: إذا كان التحريم على التأييد فكيف يستقيم ذلك مع إقامة بني إسرائيل في أرض فلسطين لفترات من الزمان في العصر القديم وفي العصر الحديث؟ وهم يقيمون فيها الآن وقد

"التوراة" ولكن الأيام الثلاثين زادت عشرة أيام أخرى فأصبحت أربعين.

وأبطأ موسى ﷺ على قومه، فقد انتظروا عودته بعد الثلاثين يوماً ولكنه لم يعد، فأخذ بنو إسرائيل يتشككون فيه وفي نبوته وفي الدين الذي جاءهم به، وظنوا أنه خدعهم وتركهم في هذا المكان الموحش المجذب، ليلقوا مصيرهم الأليم وحدهم بينما ذهب هو إلى مكان ما وذهب بنو إسرائيل إلى هارون خليفة موسى ﷺ في قومه وطلبوا منه أن يصنع لهم عجلاً ليعبدوه من دون الله، ولكن هارون رفض ذلك، فذهبوا إلى أحد زعمائهم ويسمى السامري، فطلب منهم أن يحضروا جميع ما لديهم من الذهب فسبكه وصاغ منه ﴿عجلاً جسداً له خوار﴾ انكب بنو إسرائيل على عبادته من دون الله.

وعاد موسى ﷺ ومعه التوراة، فوجد قومه قد ارتدوا عن دين التوحيد إلى عبادة العجل، فثار وغضب وأخذ يعنف أخاه هارون، ولكنه أجابه بأن القوم قد استضعفوه وكادوا يقتلونه، والتوراة تسب إلى هارون أنه هو الذي صنع العجل السامري، وهذا يخالف ما جاء به القرآن الكريم.

إتجه موسى ﷺ بقومه نحو فلسطين،

أسسوا لهم فيها دولة قوية؟

والجواب: أن معنى التحريم أن المحرم عليهم إنما هو الإستقرار فيها والأمن والإطمئنان وهذا واقع يشهد به التاريخ قديماً وحديثاً، فهم لم يقيموا فيها أبداً إقامة استقرار بل كانوا دائماً على رحيل، حتى وهم يقيمون فيها لم يشعروا البتة بالأمن والإطمئنان.

ويشهد لذلك واقعهم اليوم فرغم قوتهم العسكرية الهائلة، ورغم المعونات التي تفدق عليهم بغير حساب من الغرب والشرق على السواء، نجدهم يشعرون في داخلهم بالقلق والخوف من جيرانهم، ولذا يعملون دائماً على أن يكونوا أقوى منهم حتى يخففوا من إحساسهم بالرعب والذعر، ومن المسلم به أن الإنسان الذي يقيم في مكان لا يحس فيه بالأمن والإطمئنان، لا يعد مقيماً في هذا المكان على الحقيقة وهذا هو المقصود بالتحريم في الآية والله تعالى أعلم.

وقد عاش "بنو إسرائيل" في التيه أربعين عاماً، وفي هذه الفترة مات هارون عليه السلام، ثم مات موسى عليه السلام وهو ينظر إلى أرض فلسطين دون أن يدخلها.

وبعد وفاة موسى عليه السلام تولى القيادة والزعامة في بني إسرائيل يوشع بن نون وهو أحد أتباع موسى عليه السلام المخلصين،

ويذهب بعض الباحثين إلى أنه هو فتى موسى عليه السلام الوارد ذكره في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ الكهف: ٦٠ .

وقد كان يوشع بن نون بطبيعته عسكرياً ماهراً تمكن من تعبئة بني إسرائيل للقتال ورفع روحهم المعنوية، وكوّن منهم جيشاً قوياً اتجه به نحو الشمال الشرقي في اتجاه نهر الأردن، وعسكر بجيشه على الشاطئ الشرقي لهذا النهر، استعداداً لعبوره ودخول أرض فلسطين، ويروي سفر يوشع أن يوشع أرسل بعيونه وجواسيسه لاستطلاع أخبار الكنعانيين الذين كانوا يقيمون في هذه الأرض.

وكان ممن أرسلهم اثنان من الجواسيس بعث بهما إلى مدينة "أريحا" الفلسطينية فشعر بهما أهل هذه المدينة، وأخذوا في مطاردتهم، فاخترباً في بيت امرأة عاهرة فحمتها هذه المرأة، وعن طريقها تمكن هذان الجاسوسان من معرفة أسرار المدينة وإرسالها إلى "يوشع بن نون" المعسكر بجيشه على الشاطئ الشرقي لنهر الأردن.

ثم هجمت قوات "بني إسرائيل" على مدينة "أريحا" وارتكب المهاجمون من الفضائح ما تقشعر لهوله الأبدان، فقد قتلوا كل حي في المدينة من إنسان وحيوان،

وهو آخر ملوكها، ونفاه مع رجال دولته إلى آشور وأصبحت هذه الأرض تابعة لآشور يحكمها وال يعينه ملكها.

وفي عام (٦٠٨ ق.م) قام ملك مصر على رأس جيش كبير بغزو فلسطين والاستيلاء على "مملكة يهوذا" ثم واصل زحفه شمالاً فاستولى أيضاً على "مملكة إسرائيل" التي استولى عليها الآشوريون من قبل وقد أغضب ذلك (بختنصر) ملك بابل حيث إن آشور كانت قد أصبحت تحت سلطة البابليين، وبالتالي أصبحت مملكة إسرائيل تابعة لهم، فقام (بختنصر) على رأس جيش كبير لمقاتلة فرعون مصر وهزمه واسترد مملكة إسرائيل، وواصل زحفه جنوباً فاستولى على مملكة "يهوذا" أيضاً، وقتل آخر ملوكها: صدقياً بن يواقيم ودمر "أورشليم" كما دمر "الهيكل المقدس" ونفى أهل المملكة إلى بابل ما عدا حفنة من الزراع والصناع وبهذا انتهت دولة بني إسرائيل نهائياً، وكان ذلك عام (٥٨٦ ق.م) ويسمى ذلك أيضاً "الأسر البابلي".

♦ بنو إسرائيل بعد زوال دولتهم:

استمر ملك بني إسرائيل في أرض فلسطين حوالي خمسة قرون منذ دخولهم الأرض المقدسة تحت قيادة يوشع بن نون إلى قتل آخر ملوكهم صدقياً بن يواقيم على يد بختنصر ملك بابل، ويلاحظ أنه

وأحرقوا المدينة عن آخرها، ولم ينج من هذه المذبحة البربرية سوى المرأة الماهرة وأسرتها، وعلى هذه الصورة الدموية بدأ تاريخ بني إسرائيل في فلسطين ثم بدأ "يوشع بن نون" في مهاجمة المدن الأخرى، - فأخذت تسقط واحدة بعد الأخرى.

ورغم قوة جيشه فهو لم يستطع دخول المدن الساحلية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط فبقيت هذه في يد الكنعانيين، ولم يتمكن جيش "بني إسرائيل" إلا من الإستيلاء على المدن الداخلية فقط.

وترجع قسوة "بني إسرائيل" ووحشيتهم عند غزوهم لأرض فلسطين إلى الحياة القاسية التي عاشوها في سينااء حياة الجوع والعري والتهيه والتشرد، وقد كان لذلك كله أثره في هذا الانقضااض الوحشي على أرض فلسطين، وقد كان أهلها من الكنعانيين ذوي حضارة ونعمة وافرة ذهبنا بلب هذا القطيع من الجوعى المشردين.

● ملاحظة: هذا ما ينسبه بنو إسرائيل

ليوشع وفيه نظر لأنه يستبعد وقوع هذا من فتى رياه سيدنا موسى ﷺ على يديه.

♦ سقوط مملكتي يهوذا وإسرائيل:

في عام (٧٢١) ق.م قام "سرجون الثاني" ملك آشور بغزو مملكة إسرائيل، وألقى القبض على ملكها "هوشع بن أيلة"

له دولة استمرت ثلاثة عشر قرناً؟ هذا بجانب الإقامة الدائمة للفلسطينيين من ١١٠٠ ق.م إلى الفتح الإسلامي.

ونود أن نشير هنا إلى أن المسلمين حين قدموا إلى فلسطين فاتحين بقيادة عمرو ابن العاص رضي الله عنه وكان ذلك في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووافق ذلك عام (٦٣٦م) لم يكن بفلسطين آنذاك يهودي واحد، وقد كان من بين الشروط التي اشترطها بطريك النصارى لتسليم المدينة المقدسة إلى المسلمين الفاتحين: أن لا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود.

وهكذا أصبح اليهود مشتتين موزعين بين أقطار الأرض حتى ظهرت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر، فعملت على إنشاء وطن قومي لليهود بأرض فلسطين وقاموا بتشجيع اليهود على الهجرة إلى أرض فلسطين، وقد ترتب على ذلك ظهور النزاع بين العرب واليهود، وأعلن قيام دولة إسرائيل عام (١٩٤٨م) ووقعت حروب بين العرب واليهود حتى هذا اليوم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

طوال هذه الفترة لم يتم استيلاؤهم على جميع أرض فلسطين، إذ لم يكن لهم في يوم من الأيام أي ثغر على البحر الأبيض المتوسط فموانئ الشمال بقيت في يد الفينيقيين، وموانئ الجنوب في يد الكنعانيين كما أنهم لم ينعموا بالاستقرار إلا خمسين عاماً فقط إبان حكم سيدنا سليمان عليه السلام.

♦ والنتيجة كما يلي:

مهما يقال في ملك بني إسرائيل بفلسطين، فإن خمسة قرون لا تعد شيئاً في تاريخ الدول والشعوب، ولا سيما إذا كانت هذه القرون مزدهمة بالحروب والنكبات المتواصلة ودعوى بني إسرائيل، أن لهم حقاً تاريخياً في أرض فلسطين بسبب أن دولة لهم قد قامت في هذه الأرض واستمرت خمسة قرون هذه الدعوى يبطلها التاريخ نفسه، فقد فتح العرب المسلمون فلسطين عام (٦٣٦م) واستمروا يحكمون هذه الأرض حتى عام (١٩٤٨) حيث قامت دولة إسرائيل أي أن العرب حكموا هذه البلاد ثلاثة عشر قرناً، فأى الفريقين أولى بأن يكون صاحب الحق التاريخي؟ الفريق الذي قامت له دولة لمدة خمسة قرون فقط؟ أم الفريق الذي قامت